



## السؤال

أبي رحمة الله توفي يوم 27 من رمضان - أسكنه الله الجنة آمين - لم يتجاوز عمره السبعين عاما ، وأسئلتي في نفس الموضوع هي : أولا : هل لكل منا عمر محدد لا يتجاوزه ؟ ثانيا : هل يطيل الله العمر أو يقصره تبعا لصلاح أو فساد أفعال الإنسان ؟ ثالثا : اذا أهمل شخص جسده ولم يأخذ الدواء ، هل يتحمل أن يكون ذلك سببا أن يقصر الله عمره ؟ رابعا: إذا كان عمر كل منا محدودا ، بغض النظر عن أفعالنا ، فلماذا نتعاطى الأدوية ؟ إذا كان العمر محدودا ولن يموت الشخص قبل انتهاء أجله حتى ولو لم يأخذ الدواء .

## الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الموت والأجل من قضاء الله وقدره الذي كتبه في اللوح المحفوظ عنده سبحانه قبل أن يخلق الخائق بخمسين ألف سنة ، فلا يلحقه تغيير ولا تبدل ؛ فقد كتبه سبحانه بعلمه الذي لا يخطئ ، ومشيئته التي لا تختلف .

يقول الله عز وجل :

( وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدِقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ .  
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) المنافقون/10-11 .

ويقول تبارك وتعالى :

( قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْلَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) نوح/4-2 .

وذلك لا يعني أن الموت والأجل غير خاضعين لقانون السببية الذي خلقه الله في هذا الكون ، بل أَمْرُ الموت كسائر ما يقدر في هذه الدنيا مبني على الأسباب المادية المكتوبة أيضا في اللوح المحفوظ .

فمن رغب أن يحفظ القرآن الكريم - مثلا - فلا بد أن يأخذ له أسبابه : من قراءة ، ومراجعة ، واستماع ، وتكرار ، ونحو ذلك ، فإذا استكمل هذه الأسباب أتم الحفظ ، وإن قصر فيها لم يُتم ما أراد .

وعلم الله تعالى الأزلي محظوظ بما سيكون من هذا الإنسان ، فهو سبحانه يعلم إن كان سيجتهد في الحفظ والتلاوة أو سيقصر في ذلك ، وأمر بكتب ذلك المعلوم الذي لا يخطئ في اللوح المحفوظ عنده سبحانه .

وكذلك الموت : له أسبابه المادية التي يعلمها جميع الناس ، كالسقوط من شاهق ، والجرح الغائر في المقاتل ، والأمراض الخطيرة ، ونحو ذلك .



كما له أسبابه المادية التي تؤخره وتؤجله : كحفظ الصحة ، والبعد عن أماكن الخطر ، ونحو ذلك . وأيضا الأسباب المعنوية التي أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنها تزيد في العمر وتمد الأجل ، كالدعاء ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، وأعمال البر كلها .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :  
 ( مَنْ سَرَهُ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثْرِهِ فَلَيَصِلْ رَحْمَهُ ) . رواه البخاري (2067) ، ومسلم (2557)  
 وعن سليمان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
 ( لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبُرُّ )

رواه الترمذى ( رقم/2139 ) وقال : حسن غريب . وحسنه الألبانى فى "السلسلة الصحيحة" (154)  
 فمن أتى بهذه الأسباب استحق زيادة العمر ، ومن نقص أسباب الحياة فقد عرض نفسه للموت ، وكل ذلك – سواء الأسباب  
 أو المسبيات – معلومة مكتوبة عند الله تعالى في ابتدائها وانتهاها ، لا تتغير لأنها معلومة لله على ما ستكون ، مهما غير العبد  
 من أسبابه ، رفعت عنها الأقلام ، وجفت بها الصحف .

وهذا معنى قوله سبحانه :

( وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنَقْصُ مِنْ عُمُرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) فاطر/11 .  
 يقول ابن عباس في تفسير هذه الآية :

" ليس أحد قضيت له طول الحياة وال عمر إلا هو بالغ ما قدرت له من العمر ، قد قضيت ذلك ، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي  
 قدرت له ، لا يزاد عليه ، ليس أحد قضيت له أنه قصير العمر ببالغ العمر ، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتب له ، فذلك قوله  
 : ( ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ) ، يقول : كل ذلك في كتاب عنده " انتهى .

رواه البيهقي في "القضاء والقدر" (1/218)  
 يقول البيهقي رحمة الله :

" والمعنى في هذا أن الله جل ثناؤه قد كتب ما يصيب عباده من البلاء والحرمان والموت وغير ذلك ، وأنه إن دعا  
 الله تعالى أو أطاعه في صلة الرحمة وغيرها ، لم يصبه ذلك البلاء ، ورزقه كثيرا ، وعمره طويلا ، وكتب في أم الكتاب ما هو  
 كائن من الأمرين " انتهى .  
 "القضاء والقدر" (1/211)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله :

" إن الله أمر الملك أن يكتب أجلاً ، وقال : إن وصل رحمه زنته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أزيداد أم لا ، لكن الله يعلم ما  
 يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر " انتهى .  
 "مجموع الفتاوى" (8/517)

ويقول الشيخ ابن جبرين حفظه الله :

" أعلم : أن الآجال والأرزاق - كسائر الأشياء - مربوطة بقضاء الله وقدره ، فالله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؛ )



ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) الأعراف/34.

فهذا أمر لا ريب فيه ولا شك ، ومع ذلك ، فهي أيضاً كغيرها : لها أسباب دينية ، وأسباب طبيعية مادية ، والأسباب تبع قضاء الله وقدره ، فمن الأسباب الدينية لطول العمر ، وسعة الرزق : لزوم التقوى والإحسان إلى الخلق ، لاسيما الأقارب . كما ثبت في " الصحيحين " عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : ( من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره - أي يطيل عمره - فليصل رحمه ) .

وذلك : أن الله يجازي العبد من جنس عمله ؛ فمن وصل رحمه : وصل الله أجله ورزقه ، وصلاً حقيقياً . وضده : من قطع رحمه ، قطعه الله : في أجله وفي رزقه .

قال تعالى : ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ) الطلاق/2

ومن الأسباب الدينية لقطع طول العمر : البغي والظلم للعباد . فالباغي سريع المصرع ، والظالم لا يغفل الله عن عقوبته ، وقد يعاقبه عاجلاً بقصم العمر " انتهى .

نقاً عن موقعه على هذا الرابط :

<http://www.ibn-jebreen.com/book.php?cat=1&book=69&toc=4468&page=4036&subid=29295>

فالتداوي من الأسباب المادية المحسوسة التي تحفظ للإنسان عمره وصحته بإذن الله ، وإذا أهمل قد يؤدي إلى الضرر أو الوفاة ، وذلك لا يتعارض بأي وجه مع ما تقرره الآيات والأحاديث أن الأجل وال عمر محدود ، فهو محدود بأسبابه ، وكل شيء عند سبحانه وتعالي بمقدار ، فإن تداوى المرء وتعافي فطالت أيامه في هذه الدنيا فذلك بقدر الله ، وإن قصر أو ترك التداوى حتى قضى أجله فهو بقدر الله كذلك .

عن أبي خزامة عن أبيه قال : سأّلتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ : يا رسول الله ؛ أرأيتْ رُقَى نَسْتَرْقِيهَا ، وَدَوَاءَ نَتَدَاوِي بِهِ ، وَتُقَاءَ نَنَقِيهَا ؟ هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيئًا ؟

قال : ( هيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ ) رواه الترمذى (2065) وابن ماجة (3437) ، وروي موقوفاً . قال الترمذى : هذا أصح .

نَسَأَ اللَّهُ أَنْ يَغْمُدَ وَالدَّكَ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَنْ يَرْحَمَنَا إِذَا صَرَنَا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ .

وانظر جواب السؤال رقم في حكم التداوى : (2148) ، (2438) ، (13272)

والله أعلم .